

شهادة الدكتور قاسم الصمد

أسعد الله مساءكم وأبقاكم نحرّاً للبنان الثقافة والإبداع و... التاريخ أيضاً.

نجتمع اليوم في هذه العشيّة الطيبة نكرم الأستاذ والعميد والمؤرخ عبد الرؤوف سنّو، الذي عرفته، للمرة الأولى في آذار 1985، حيث كان عضواً في لجنة مناقشة أطروحتي للدكتوراه.

أتراه تغيّر عبر سبع وعشرين سنة من معرفتي به؟

في تلك الجلسة كان يسوعياً ينافس اليسوعيين الأب فببب والأب بوزبه في ترصد الثغرات وتصحيح الهفوات، وتصويب المسارات، كما في التنويه بالإنجازات والتشجيع على المزيد منها. وتنتالي السنون، وتتوحد المعرفة، ونوثق الصداقة، وتتناغم أفكارنا في "لجنة تحديث مناهج قسم التاريخ" في الجامعة اللبنانية، وفي مناقشة الأطاريح الجامعية، وفي مؤتمرات التاريخ منذ العام 1994.

طوال تلك السنين، وإن مرت حالات من الزمان عليه سنّي، فقد بقي حاله حالاً في كل حال.

هو في بيرونيته العتقية، وفي إسلامه الحنفي، كما في لبنانيته المؤصلة، بقي رؤوف سنّو الإنسان المترفع المعتدل على غير ما إفراط ولا تفريط.

من يلتقي الدكتور رؤوف، ومنذ اللحظة الأولى، يتملكه الإحساس الغامر بأنه في حضرة إنسان يفيض أنساً وظرفاً ولين عريكة. ثم ما يلبث أن ياسر عارفه ومتلقيه بحسن الطوية، وصدق المعاملة، وغازرة العلم، و... ارستوقراطية شرفت به كما تشرف بها، دونما تعالٍ أو كبرياء، بل سيرة محمودة يجلها: تواضع العلماء وحنكة النبلاء وحكمة العظماء.

بقي الدكتور سنّو، في جميع مراتب عمله الوظيفي، الباحث والأستاذ المنقب والمؤرخ المتفوق والعميد "السربست" المدقق.

هو المؤرخ الذي لا يفتر عن البحث في حقائق الأحداث، في أسبابها والخلفيات، كما في نتائجها والتداعيات. وإن حاولنا ذكر أو تتبع عناوين مؤلفاته، فلا بد أننا عاجزون عن الإحاطة بها جميعاً: كتاباً وبحثاً ومقالة.

فهو من أفاض في كتابة العلاقات بين ألمانيا المشرقة - المستشرقة والسلطنة المتغربة - المستغربة، من زمن بسمارك وغلبيوم إلى هتلر وهيلموت كول.

وهو المهموم بقضايا لبنان، الذي يعشق، والمألوم مما عانى ويعانيه لبنان من أزمت: قبل وخلال وبعد الحرب، حرب تفكك الدولة وتصدّع المجتمع.

أيها الشاب المعتق بعبق السنين وحبرها وعرقها، وأيها الزميل والصديق الصديق:

لما كان لكل امرءٍ من اسمه نصيب، فإننا نرجو أن تبقى، كما عرفناك، الرؤوف بنا والحدوب
علينا، فتمتعنا بأبحاثك وإبداعاتك القيمة، لتستحق على الدوام الجوائز المجزية، وقلوب محبيك
وعارفيك.